

مفاهيم القرآن

(296) أذعن له الإنسان لغرض إدارة الحياة وضمان تمشيتها وجريانها ، في حين أن مالكية الله للسموات والأرض وما بينهما مالكية تكوينية ناشئة عن خالقيته لها . فإذا كان الله سبحانه مالكا لكل شيء فلا يمكن حينئذ أن نتصور له ولداً لأن ولد الإنسان - بحكم كونه ليس مخلوقاً له - لا يكون مملوكاً له كذلك مع أننا أثبتنا أن الله مالك لكل شيء لكونه خالقاً لكل شيء ، وإلى هذا البرهان أُشير في هذه الآية : (الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً) . كما أُشير - في ذيل هذه الآية - إلى علة هذه المالكية وأساسها وهو "الخالقية" إذ يقول : (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ) . البرهان الثالث (وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَ اللَّهِ بَلْ لَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهِ قَانِتُونَ * بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّا نَرَاهُ يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) . (1) استدل في هاتين الآيتين على "نفي الولد" بثلاثة براهين: 1. أن معنى الولد هو انفصال جزء من الوالد واستقراره في رحم الأم ، وهذا يستلزم كون الله جسماً ، ومتصفاً بالآثار الجسمانية كالمكان ، والزمان والجزئية ، والتركيب من الأجزاء بينما يكون الله سبحانه منزهاً عن هذه الأمور وإلى هذه الناحية أشارت الآية بكلمة " سبحانه " . 2. أن إلهية الله مطلقة وربوبيته عامة وشاملة ، فكل الموجودات قائمة به ومحتاجة إليه ، غير مستغنية عنه . _____ 1 . البقرة: